أ.عبد الحميد حادوش

# سرد وحفريات - Récits et excavations

2015

## تـــقـــديم

### فـي رحـا ب الـكـلـمـة

لـــيـكـن فـــي عـلـــم الـقـــا رئ مـــن أي بـحـــر أو توجه فـكـــري كـــا ن ، أنـــي أتـــوخـّى بـهـذ ه الـنـصـوص دغ غـة مـــن نـــوع خـــا ص ، عفـــوا أن ألـقـــي أمـا مـــه نـصوصـا مـقـتـضـبـة لـيـسـت بـخـواطر وإن حـمـلـت جـــزءا مـــن مـشـــحـونـهـا ، ولـيـســـت بـقصص وإن اســـتـلـفـت مـنـهـــا بـعـــض الأســـس والـتـقـنـيـــا ت ، ولـيـســـت بـمـقـــا لات وإن كـــا ن لـهـــا الـو عـــا ء الـمـتـشـا بـه ، والـخـلاصـة أنـهـا كـتـا بـة عـلـى كـلّ حـا ل تـجـمـع بـــيـن الـجـد والـهـــزل والـو اقـع والـخـيـا ل ، وتـعـتـنـق مـحـطـا ت وفـضـا ءات لـلـتـعـبـيـر وتـعـريـة ظـواهـر يـعـيـشـهـا الإنـسـا ن عـلـى سطح هـذا الـكـون الـجـمـيـل والـمـوبـوء مـعـا .

# ترياق عطار

ولج ذات يوم مكتب محام عرفه منذ مدة . استشاره في نازلة نشر الكتب فوجد ضالّته. لكنه فوجئ بسؤال حرّك مادته الرمادية حين سمع المحامي يقول له :

- هل توقّفت عن الكتابة ؟ لم أقرأ لك منذ مدّة . فلماذا لا تكتب القصّة ؟

أجاب :

- " فين القصة ، وفين أنا". أحاول...

انقلب السؤال إلى تيّار كهربائي سرى في جسده ، ومع الأيام تحوّل إلى ترياق عطّار. بحث عن طريق له في العالم الجديد، فلم ير إلا نوراً خافتا . وفي يوم ، بحث في مسودّاته "الكثيرة" في هذا الجنس ، فاختار واحدة اعتقد أنّها صالحة للنشر،وبعث بها إلى جريدة "بالفاكس" لأنه لا يثق كثيرا في الرسائل البريدية الموجّهة إلى الجرائد .

# عناق الأحبة في رسالة

أتراهن يا صديقي على ملحمة هوميروس وتنسى ملاحم العرب عبر التاريخ. أتختار عشق الكلمات ولا تملأ الصفحات غضبا نورانيا يزيل الغبن والقهر المونديالزمي عمّن خدعوا عندما غاب القمر،أم أن عشقك عشقا خرافيا طفوليا تمحوه الأيام.

حاولت مرات عديدة أن أخاطب فيك إنسيتك برسم خطوط مختصرة علّك تفهمني وتعيد الماء للمجن ، والزّهرة للرّوض،والتربة للأرض،والبسمة للطفل، والريشة للطير،والمقولة للفيلسوف،والكتاب للدرس.

حاولت جاهدا لأسمعك أغنية تشنّف سمعك فتربطك بملكة فكرية زئبقية . فلا عجب أن لا أتلقى منك إلا سخرية تغلف العنجهية في حلقات على موائد تضرب فيها الجيش بالجيش لتحظى بلذّة العيش،فتقول ملء شدقيك في قهقهة: (ما لهُ سَبَدٌ ولا لَبدٌ،غار منْبعُه ونبا مرْبعُه).

حاولت أن أستفزّ فيك كل عواصم الدنيا بقدرة القادر الأحد ،فقلت لما دعوت إلى مأدبتك التقرى: ( هي مُلَحٌ أعْصمية) ، ونسيت ما تعلّمناه من شيخنا (أن الإنسان صنيعة الإحسان).

لم أدّعِ يوماً علْم سَطيح ، ولا كنت أنمّ من الصّبح ، ولم أعِدْ عِدَةَ عُرقوب ، ولم أنقلبْ ظهراً لبطْن ، ولمْ أضعْ ضغْثَ الدّرهم على الإبّالةِ ، فكلّ امرئ أعْرُف بوسْم قدحه .

هو ذا خطابي إليك نثرْتُ فيه الْعَجْوةَ والنّجْوة ، ووازنْتُ في المقال وزن المثقال دون أن أنفُخ في غيْر ضَرَم ،وأنت أخبر منّي بما شانَ وزانَ . كما أني لست في خلّ ولا خمْر، ولا في سخرية من كيت وكيت ، فاللّجاجُ شؤْمٌ ، والخنَقُ لُؤْمٌ .

وختاما ، السّماء نقيّة ، وهذه القُصاصة محبّة سيراً على نهج من قالوا : إذا عزّ أخوك فهُنْ ، وادْنُ إذا شَحَطَ .

# اليمين واليسار في عيني إنسان

اشترى في وقت فراغه ذكرى عندما انزوى في ركن مقهى شعبية . تهاوى على الكرسي بتثاقل وأمامه طاولة أصيبت بمرض " بُهَزِاز". أرسل تنهدا عميقا من كثرة السير، وأسند ظهره إلى الحائط الذي كساه الطّلاء البرتقالي ،

وتوغّل... توغّل الرّجل في انفعالات وصور طارئة، وراح يحملق في أوجه الحاضرين . رأى الدّنيا بعينه اليمنى المصابة بالرّمد ، ولخّصها في ضحكة أحد المنهمكين في لعب الورق . تراءت له ضحكته موفورة افتخارا بفوزه .

استقام الرجل في جلسته ، فرأى بعينه السليمة ـ بعدما أغلق المريضة لألم حاد ـ غضب أحد اللاعبين على تصرّف أصدقائه أتسيء . تتبّع تصاعد غضبه إلى حدّ ثورته في وجوه أصدقائه ، قائلا :

- " لا مشي هكذا... الغش!"

أغمض الرجل عينيه في زاويته فترة . طأطأ رأسه متأملا، فرأى دنيا أخرى تجذبه بشدّة ، ممزّقة غشاء أذنيه،ومسك على جسمه النّحيف اعوجاجا قد يحسبه النّاظر إليه تضوّر جوع ، أو فعالية حشيش . فتح عيناه فرأى الخفّة والتّصنّع على " الحارثون" . إنه وضع مفروض لسلّ لقمة العيش . ناداه فاتاه.

- صباح الخير...أش...

- صباح الخير، قهوة...

ارتخى الرجل في إعياء . أدخل يده ببدء في جيبه العريض فأخرج سيجارة وعود ثقاب . دخّن ، ونفث دخّان ثالث(ردعة) في الفضاء . تتبّعها في ذهول. نبش الماضي البعيد ويده تحرّك كأس القهوة بنعومة. استرجع أحلى صورة يعتزّ بها.

## أنغامٌ هـارمـونية

خرج من كوخه الصغير وقلبه منقبض ، يرافق الخطوات المتثاقلة في دقاته . ألقى نظرة خاطفة على يمينه وشماله ، وبحث عن الطريق . كان الظلام يلف مساحة المكان . سار خطوات قليلة فتسمّر في مكانه لصوت سمعه . إنها خشخشة مزعجة سمعها بين الأعشاب الجانبية للطريق . وضع يده في جيبه فأخرج مصباح اليد . سلّط ضوءه في عدة اتجاهات فلم يهتد إلى معرفة سبب الصوت . استأنس بالضوء الخافت لمصباحه وتابع سيره محدّثا نفسه قائلا :

- المهمّ ، كائنات الله على الأرض كثيرة ، ولكل شأن .

مدّ يده في جيبه ثانية ، فاخرج هارمونيكا ، وبدأ يأكلها بشراهة مفرطة . أرسل أنغاما مضطربة متقطعة ، كان همّه أن يؤنس نفسه وهو يبتعد عن كوخه . كان نفسه طويلا ، وأكلته صلبة لا يستسيغها إلا المتألمون أمثاله ، أو الكادحون الذين يصبحون ويمسون ، ولا صورة لديهم إلا عن جناتهم ليصوروا للآخرين أنغاما حزينة جديرة بالاهتمام في عالم الحياة والفن الواقعي ، لأنها تخترق الظلام الدامس في كل الخطى باحثة عن آذان صاغية ، لا قطن فيها ولا كحول .

## التراتب الفسيفسائي والرّاحة الفنية

عانقت الفسحة، وناجيت البدعة، وفجّرت المسكوت في زمن الصّمت، والتباهي الأجوف، وسيناريوهات الخدعات المتوالية لأصرخ لا ثم ألف لا...

# على مزامير داوود

على مزامير داود يرقص العباد ، وعلى هدير التّلفزات تئنّ كثر الفئات ، وعلى تراب ذا وذاك ترتّب الملفّات ، وفي عيون المروج نكتة العصر ، والبشرى بالعالم الجديد ، ولا جديد إلا أنغام وطبول الافرنجة ، وسلسلات الرقص المهووسة بالفرجة .

فالكلّ يغني على ليلاه ، ولا همّ إلا علاه . جفّت المحبرة ، وتكسّر القلم والمنجرة ، ودخل الأمل عرين الحكومات ، وأصحاب النفوذ والجاه والمكرمات ، وبقيت لإفريقيا أنياب الأفيال ، وماضي الأقنان . وللعرب حجارة الأطفال في القدس ، وكل السهول والأدغال ، والمساومات على النّفط والرّمال والرّجال .

# الحيّ والبَريد وقُصاصة جريدةٍ

*1* - امتطى درّاجته الناريّة واتّجه كعادته إلى أوّل اتّجاه له . اتّجه إلى البريد المركزيّ . وفي الطّريق سرق بعض النّظرات من هنا وهناك ، شارع البلديّة واسع وعريض ، وعلى اليمين واليسار دور وفيلاّت ، والأشغال في بعضها لا زال على قدم وساق . أمّا بعض الحدائق فكثر بها العشب اليابس . حدّث نفسه بحملة سقي وتنقيّة لإعادة الحياة لها لو... أوقف التّفكير أمام الضّوء الأحمر بالضّغط على الحصّار ، وتذكّر حديث صديق أخبره ذات يوم عن المدّة التي يستغرقها الضّوء الأحمر المنظّم للمرور، قال :

ـ " سوّلت واحد البوليسي ، قالّي : دقيقة وأسبعطاش ثانية..."

قال في نفسه :

ـ رُبّـــمـــــا...

تابع الرّجل مسيره الى أن وصل مكتب البريد . ترك طفطافته للحارس ودخل . أخرج مفتاح صندوق البريد ليتناول جريدة هو فيها مشترك ومراسلة البنك العقاري . طفق راجعا من حيث أتى وحديث النّفس لا يتوقّف . تساءل :

ـ متى سيتفضّل المجلس البلدي الموقّر بتسميّة أزقّة الحيّ الذي يسكنه ؟

ـ ومتى يتمّ ترقيم المساكن ؟ . ومتى يعيّن أهل البريد ساعي البريد لتخليص العباد من هذا العناء والعبث ؟...

أسئلة عديدة مرّت كلمح البرق . أحسّ بانقباض حدسي ينبّهه إلى الكفّ عن حديث النّفس حتّى لا ... وحتّى لا ...

2 - من عادته أنّه لا يتوقّف عن قراءة الجرائد والمجلاّت ، حاول يوما فلم يستطع. ومن عادته أيضا أنّه يضع ملفّات لكلّ ما يقصّه من مقالات أنتجها أو أعجبته . وبينما هو يتصفّح ملفّا ، استقرّ نظره على صورة الرّئيس الفرنسي الراحل فرانسوا ميتران وقرأ الجملة تحتها : ( إنّ النّظام العالمي الجديد الذي يتحدّث عنه جيمس بيكر هو بمثابة سايس بيكو جديد . فأمريكا ترسم خريطة جديدة تهدف من ورائها إلى استعباد الأمة العربية والإسلاميّة ...) . بحث عن رقم يتعرّف به على اليوم والسّنة لهذا التّصريح فلم يجد ه . فاتته الفرصة أن يرقّم القصاصة يوما وسنة . أحسّ بالتّقصير لمّا لم يجد اسم الجريدة التي انتزعها منها . حاول دون جدوى أن يسترجع ما دفعه إلى الاحتفاظ بها بين مقالات عدّة لا رابط عضويّ معها ، فتساءل :*

1ـ والرّجل قد غادر هذه الدّنيا ، هل كان صادقا ، بل صائبا في تقييمه ؟.

2ـ وهل ورثته لهم نفس الرّأي ؟.

3ـ وهل التّصريحات لها مصداقيّتها في عالمنا اليوم ، أم أنّنا نحن البسطاء " أهل النّيّة" نحتاج إلى إعادة التّكوين والدّراسة " لعلم التّصريحات " للوقوف على الغثّ منها والسّمين؟.

استرجع الرّجل أحداثا عديدة عاشها العالم العربي والإسلامي والإفريقي فتوصّل إلى ما توصّل إليه ، وأوقف حبل " فلاش باك ـ back -flash " ، وأنهى

الحوار بجملة ( الله يعفوا علينا) ، لا لشيء إلاّ لأنّ الأمر صعب عليه ، وليس من اختصاصه . وهكذا قرّر أن يشرك القرّاء معه في قراءة القصاصة شكلا ومضمونا.

# المدينـة

يرسل رجليه وعينيه وهو لا يعرف إلى أين . يخيط الشوارع محملقا في أوجه المارين . يحاول من حين لآخر قراءة صفحات ذاكرة الأيام بزهوها ونكدها . يرفع عينيه لقراءة لافتات الدكاكين المتفرخة . يحمد الله بلغة العامة "الخير باسط ، ومولانا أعوين" . يحس بألم في قدمه الأيمن فيتوقّف . يحرك رجله ، ينزع حذاءه ، ويزيل حصاة تطقّلت عليه من ثقب لم يعلم به إلا في حينه . يعيد الحذاء ويتابع السير مبتسما في حشمة . يحاول استرجاع معارف قديمة جديدة لها ارتباط بصنع الأحذية وتسويقها ، وتأثرالحصى بالمواد الحمضية .يحسّ بالتعب فيتوقّف بأوّل مقهى تقابله . يبحث عن كرسي فارغ . يلقي جثته عليه في ارتخاء. يدير وجهه يمنة ويسرة متفحّصا أوجه الناس. يخرج جريدة من جيب معطفه ، ويتفحص محتواها ليتوقف من حين لآخر أمام عمود . يستغرق في القراءة إلى أن يسمع النادل يقول :

- آش تشرب أأستاذ ؟

- " أبحال ديما" قهوة خفيفة .

يشرب قهوته . يدخن بعض السجائر وفي رأسه تدور ألف فكرة وفكرة . ينظر إلى ساعته ويقوم دون استئذان ليتابع سيره...

## الشاشة

لا يعشق من برامج التلفزة إلا نشرات الأخبار واللقاءات الثقافية . يتعقبها دون كلل على طول وتنوع القنوات التي يعرف لغتها . دخل إلى منزله مساء يوم الثلاثاء الثاني من شهر يونيو 1998 ، وأخذ مكانه أمام الشاشة ليتنقل من قناة لأخرى كعادته . استغرقت رحلته ساعات وساعات حتّى غشيه النّوم . استيقظ صباح اليوم الموالي ليجد على سريره أوراقا مبعثرة . تناولها الواحدة بعد الأخرى ، ورتّبها حسب رقم الصفحات وقرأ :

ـ الهند والباكستان تسابق/تجارب نووية...آسيا...ارتفاع الحرارة ..

1300 موت ؟؟؟

ـ أمريكا/رد فعل/تحذير/عقوبات.

ـ فلسطين/ استمرار الاستيطان .../ مواجهة المواطنين /الحجارة...

ـ زيارة وزير حرب إسرائيل لمصر/

ـ 262 مليار دولار ديون الدول العربية ...

ـ آراء وتحليلات حول ميزان القوى الهند الباكستانية / صواريخ/

/جيش/أرقام/ ؟؟؟

ـ خطر استعمال القنابل النووية موجود ... المفاوضات وتوقيع اتفاقيات ممكن...الخ /الخطر من الدوائر الاستعمارية...

ـ زلزال في أفغانستان .../الحرب+ المآسي.../دور العالم...؟ (أ.م) (منظمة المؤتمر الإسلامي)...الخ.

ـ عمان / ومشاورات لعقد مؤتمر قمة عربية .../برنامج؟/ العراق؟/...

ـ كوسوفو واندلاع مواجهات .../حرب ؟

ـ موسكو والأزمة الاقتصادية...الدوفيز .

ـ إضراب الطيران بفرنسا.../المونديال...

ـ المؤتمر العربي لمكافحة المخدرات .../فياكرا ؟

ـ البرنامج الدولي والطفولة...

ـ مؤتمر العمل الدولي .../جنيف/تشغيل الأطفال/ حقوق العمال/الغات ؟/...

ـ بلير في إرلندا واتفاقية السلام...

ـ استعداد ديسكوفري للإنطلاق ...

ـ زيارة الشيخ حمد آل ثاني أمير قطر لفرنسا.../رواسي..500 مليون فرنك فرنسي...

ـ محاكمة متهمين تونسيين في مقتل أندري كولس/بتونس...

ـ المؤتمر الوزاري للعرب المتوسطيين/ بيروت/

ـ تحديد سقف متوسط المطالب /وباليرمو...

ـ الاعتراف بالاتحادات النقابية المحذورة في عهد الرئيس سوهارطو السابق /المدعي العام...

# الحاج والمدوّنة

أدار عمامته الطويلة على رأسه بخفّة ومهارة وهو ينظر في مرآة انغرست منذ مدة طويلة في الحائط المهترىء لغرفته . فتل شاربيه واستدار ليرشف آخر جرعة القهوة التي بقيت في فنجانه . خرج في عجالة يحمل تحت إبطه الظرف / الملف .

بباب دار القاضي وقف ينتظر دوره وهو يحملق في هذا ، ويسأل ذاك ، ومن حين لآخر يعود إلى نفسه ليحدّثها برهة فينتهي إلى تحريك شفتيه بدعاء أو آية الكرسي . لم يتوقف الرجل إلا مع صوت العون :

ـ أدخل ...أدخل يا سيدي ...

أجاب :

ـ " الله إبارك فيك " .

وفي خفّة غير معهودة خاصة وأنه متقدّم في السنّ ، وجد نفسه أمام القاضي ، فقال :

ـ "صباح الخير أسيدي ".

ـ وعليك السلام ورحمة الله ، تفضّل .

استطرد الحاج بعد أن جلس :

ـ تزوجت يا سيدي سنة 64 من امرأة ولدت لي ثلاثة أبناء وبنت . تزوجوا كلّهم "شي" في الخارج و"شي" في الرباط . وبقيت أنا و"لفقيرة " وحدنا . والله وسع علي بخيره ، فقررت أن أتزوج ثانية . سألت عن الوثائق المطلوبة فقالوا لي :

هذه ...وهذه...وهذه ...ها هي كلها في هذا الملف . و"لفقيرة " راضية ، والله يا سيدي القاضي راضية . ها هي الموافقة ، وقعتها بنفسها .

قدّم الحاج للقاضي الظرف فتفحّص محتوياته ، وقال :

ـ " واش فكرت مزيان أسيدي الحاج ".

أجاب دون تردّد ، وبلهفة وحرارة :

ـ الله أسيدي ، الزواج "ماشي لعب ، والخير كثير ، و"مكاين مشكل " .

طلب القاضي من الحاج أن ينتقل إلى مكتب العدول ليكمل كل الإجراءات بعد أن أعاد إليه الظرف / الملف ، قائلا :

ـ الله "إكمّل " بالخير .

وقف الحاج شاكرا القاضي وخرج . وفي الطريق سخر من نفسه وقرر أن يعود إلى منزله ليطمئن "لفقيرة " أنّه عدل عن قراره ، وردّد :

ـ ربّي أدمْ عليّ نعمك ، وأنرْ طريقي مع تعديلات المدوّنة .

القداس وضبابية الاقتباس

فتحت باب المكتب صباحا ، وشرعت في تهييء أجندة اشغال اليوم ، وإذا بزميل لي في العمل " يصبح علي " ويجلس أمامي على كرسي . وبعد أن أدار عينيه يمينا وشمالا خاطبني سائلا :

- هل سمعت ما قاله البابا ؟

وأردف :

- " خَرْوَضْها "

أجبته بتعليق موجز :

- لم أطلع على فحوى المحاضرة كلها لأستطيع إبداء رأيي . لقد سمعت ما تناقلته بعض وسائل الإعلام ، وكل واحدة بطريقها ، وصياغتها للخبر .

فقال صاحبي بحماس :

- " أشَداهْ " ، فالإسلام بعيد عنه ، فهل يريد أن يشعل فتنا أخرى !

طمأنته بحماس ، ولكن بجملة واحدة :

- " الله يهديك ، إنه الضباب فقط .

دخل عدد من الزوار إلى المكتب فقطعوا حديثنا ، ولم يكن أمام الزميل إلا الخروج ، قائلا :

- الله إيعاونك

استنفذت اليوم كله في العمل ، دون أن أنسى ما دار بيني وبين صاحبي من حديث .

وبعد العشاء حاولت أن أسجل في كراستي بعض الأفكار التي احتملت أنها صائبة ، كالتالي :

1- بينيديكت السادس عشر ، ألماني . قام في المدة الأخيرة بزيارة إلى بلدته . قالت عنه بعض وسائل الإعلام أن زياراته تتكرر لهذه البلدة لأنه شغوف بها . وأثناء تواجده فيها يرتفع المستوى التجاري بها بشكل ملحوظ ، خاصة أن أغلب المواد من مشروبات ومأكولات وملبوسات تتزين بصوره البهية . وأن أهل البلدة ينظمون حفلات على شرفه . وكما قيل ، فإنه لا يتحدث - مع المواطنات والمواطنين - لا في الدين ، ولا في السياسة .

2- أما ما قاله فخامة البابا في الإسلام وعن الإسلام ، فلقد جاء في فحوى محاضرة أكاديمية بجامعة... ....

3- أما ردود الأفعال فتتراوح بين معبر عن استيائه ، إلى مطالبته بتقديم اعتذار صريح

ففي خضم الأجواء الدولية العامة للفترة الصيفية ، فلا بد من التسجيل أن الفترة عرفت حرب لبنان - حزب الله وإسرائيل - وصراعا ديبلوماسيا بين إيران والمنتظم الدولي على راسه أمريكا في شأن الطاقة النووية . كما أن أمريكا احتفلت باليوم الدامي ل 11 شتمبر ، وتعرف احتكاكا سياسيا داخليا بين مكونات المؤسسات.

# لُغةُ طفْل ونُكْتةٌ

ضمّت الأمّ ابنها بكلّ رأفة وحنان وهي تتلمّس سبب صراخه . ظهرت على وجهها علامات حيرة واستغراب . حاولت أن تعرف ما ألمّ بابنها الذي لا يتوقّف عن الصّراخ ، فلم تفلح .تتابعت أسئلتها وهي تمسح مخاط أنفه ولعابه ودموعه بكُمّ لباسها البدويّ .

ألحّ صراخُ الطّفْل على أذن الجارة ، فحرّك عندها بركة حنان الأمومة . لمْ تتأخّر عن الهرولة نحو الباب لتدفعه بقوّة ،وتقتحم المنزل دون استئذان .

لم تشعر " العالية " إلاّ وهي تجذب الطّفل من بين يدي أمّه فتحتضنه بكلّ قوّة قائلةً في امتعاض :

-" آشْ دزْتي ليهْ ألْغولة ؟ ...أخْتي معَنْدكْ قلْب..."

أجابت الأمّ ونبض قلبها يكاد يتوقّف :

-" واللّه أختي مدرتْ ليهْ والو . معْرفتْ آشْ بيهْ ؟ "

بذلت العالية جهدها لتقف على سرّ بكاء الطّفل . أشربته ماء ، وناولته حلوى دون جدوى. أزالت عباءته باحثة عن خُدوش أو دمل ، أو ما يرشدها إلى سبب كلّ هذا الصّراخ الذي كاد الطّفل أن يغمى عليه لو لم تتدارك العالية الوضْع برشّات ماء على وجهه . مرّت هذه الأحداث وابن العالية واجمٌ واجلٌ ، متمسّك بثياب أمه لا يبرحه . توجّس كلام الطفل الذي أعجز المرأتين ، فلم تجدا له ناهجَةً . لقد سمع الطفل الطفل يكرّر جملة ، قائلاً :

-" أَعَدّيسْ إنو فاقّسْ ...أَعَدّيسْ إنو فاقّاسْ ..."

لم يتمالك ابن العالية نفسه حتّى ناكَفَ قرينه مجيباً :

- " أُلاشْ ينّانْ أَتْشْ أطّاسْ ."

وجَمَت الأمّ وجارتها عند سماع ما أزال الْغَشاوةَ ، و أوضَح النّكارةَ . أسرعتا إلى زجاجة زيْت الزّيتون ، وتعاونتا على دهن بطن الولد وقراءة آيات من القرآن الكريم مشياً على عادة الأمّهات والجدّات . ومنذُ ذلك اليوم أصبح الحدث ولغة الطفل نُكْتةً تتناقلها الألْسنة .

ملحوظة :

معنى الجملتين بالأمازيغية :

1- بطْني ينفجر

2- من قال لك كُلْ كثيراً

# الجـرةُ وَ الفـاسوخُ

في طريقي إلى العمل صباحا لمحت جرّة مكسّرة وسط الطريق . كان لها تـــأثير قزحـــي خـاص علـى نفسـيتي ومـادتي الرماديـة فرملت المشي ، وتمعّنت في الأجزاء المتناثرة علّني أكتشف ما قد يحيل على مرجعية دالة أتعرّف بها على الشـكل والمحتـوى كدت أن أجلس القرفصاء كعلماء الآثار، وأنهمك بعمق وتأمّل في الاكتشـاف لـولا هـدير السـيارات وحدســي بالعواقــب . وفــي لحظة غير منتظرة لمحت مادّة سوداء عالقة ببعض أجزاء الحوض التحتي للجرة ،فلم أتأخر من إدخال جزء فـي جيـب معطفـي مرّ اليوم كله إلى أن حان وقت الخلود للراحة ، وإذا بي أتذكر الكنز الأثري ، فلم أتأخّر في تقمّـص شخصـية عـالم الكيميـاء

اعتمـدت الملاحظـة والشـمّ واللّمـس إلـى أن انتهيـت بـإحراق بقايـا المـادة المتخثـرة . أتـدرون مـا هـي ؟ إنهـا مـادّة " الفاسـوخ ابتدأت رحلة أخرى من التساؤلات كمثل : من أين و إلى أيـن ؟ مـن و لمـن ؟ ...واختصـارا للقـول ، أتـرك لـك أخـي القـارئ حـقّ التساؤل علّك تهتدي إلى ما قد يقربك من الإجابات الصحيحة

# العَوْدَةُ إلى المدْرسَة

دخل حجرة القسم وفي يديه دفترا بكرا وقلما ومسطرة . بحث عن رقمه وجلس على مقعد أمام طاولة في الصّفّ الأول انتظر حتّى يُعطى له الأمر بدقّ الجرس . تسلّم ورقة الامتحان من يد الأستاذة الحارسة ليشرع في الإجابة عن أسئلة مادّة الرياضيات. تمعّن في المعطيات وقرأ

سـ + د ) فـ + مـ + ك

عندما يحين الوقت المناسب أجب واستجب لما يلي

قـ + ف ( + ) ا + خـ + ر + ج

أصيب صاحبنا بالذهول . لم يسبق له أن درس ما يساعده ليهتدي إلى الإجابة المطلوبة . حملق في مشية الأستاذة وزيّها الأنثوي الكاشف فنسي الإجابة عن أسئلة الرياضيات . وفجأة أحسّ بيد تحرّكه بخشونة ، وصوت حاد يأمره للنهوض من الفراش والذهاب إلى العمل

## لُغْزُ الكلمات المتقاطعة

جلس بمقهاه المعتادة على ضفة البحر الذي لم يزره منذ أكثر من سنتين . أرخى العنان لنظره، يحملق في أوجه الحاضـــرين علّه يجد وجها مألوفا يبتسم له أو يحييّه . أثار انتباهه صخب أربعة شبان كانوا حول طاولة قريبة منه . أرخى أذنيـــه ليعـــرف ســـببَ النقاش الحاد فسمع:

بـــلا دنـــن - بنـــد لان - نـــبلا نِـــد - دلا بـــنن - لا نبـــدن - لا نـــدنب تصـــاحبها مـــن حـــين لآخـــر ضـــحكات واحتجاجات

تساءل الرجل عن حقيقة ما يسمح، فقرر أن لا يرتاح باله إلا بإزاحة الغموض . وقف من مكانه وتظـــاهر أنـــه يبغـــي الـــدخول إلى المرحاض . تثاقل فـــي ســـيره وهـــو يمـــر بجانـب طاولـة الشـبان . لمـح شـبكة للكلمـات المتقاطعـة علـى ورقـة تتوسـطهم ، فعلم أن الأمر لا يغدو إلا بحثا عن كلمة ما. فكّر في الأمر وهو يقضي حاجته . وبينما هو عائد إلى مكانه همس في أذن أحد الشبان بلاّدن . أجابه مبتسما:

- " عارْفينْها ، شكرا "

# السّمن والعسل

حدّثني المويلحي ، قال :

- هل تعرف مقامة السّمن والعسل ؟

قلت :

- لم يسبق لي أن وقفت عليها فيما قرأت .

قال :

- يروى أن قائدا استأجر خدما ليقتفوا أثر قاض ويعلموه بكل صغيرة وكبيرة ، ماذا يأكل ؟ وأين يذهب ؟ وماذا يقول ؟ وأين يسافر ؟ وكيف يعامل من حوله من أهله وعشيرته ؟ وكيف يحكم بين المتقاضين ؟ ... وكل ما ينقل إليه يستشير فيه معاونيه من حاشيته ليشيروا عليه بما يصلح ليجعل الناس يضعون أصابعهم في آذانهم كلما صدر منه كلاما ينتقد به حكم القائد .

وذات مرّة ، أدخل القاضي إلى أهل بيته جرتين أثارتا استغراب المخبرين لأنهم تعودوا أن يروه خاوي الوفاض كلما تخطى عتبة منزله ، فلم يتأخروا عن نقل الخبر معتقدين أن في الأمر سرّا سينالون منه رضى القائد ، فلما سألهم عمّا بهما وجموا في مكانهم معتذرين عن غفلتهم ، وطلبوا مهلة ليحيطوه علما يقينا .

فكرت عيون القائد في الطريقة التي توصلهم إلى المبتغى ، فلم يجدوا إلا أطفاله ليحتالوا عليهم ، تقدّموا إليهم وهم منشغلون باللعب في الزقاق بعد صلاة المغرب ليطلبوا منهم ماء يروي عطشهم ، وهم يلحون على الماء البارد من جرتي القاضي ، فاستجابت براءة الأطفال لمطلبهم ، وغرفوا منهما ، وقدّموا للطالبين ما أرادوا . فلما همّ أولهم معرفة ما بالقدح الأول لم يجده إلا ماء ، ولم يجد الآخر في الثاني إلا ماء ، فاستغربوا ، وضربوا أخماسا في أسداس باحثين عمّا سيقولانه للقائد ، فلم يجدا إلا :

- مولاي ، لقد رأينا في الجرتين السمن والعسل .

غضب القائد غضبة المتقي أمام عيونه ، واتهم القاضي بالارتشاء وهو يعلم أن أجرته لا تكفيه لاقتناء كل ذلك ، ولما انصرفوا قال لمستشاريه :

- الآن أصبح في يدنا مفتاح لإسكات القاضي كلما زاغ ، فما علينا إلا أن نقول له : أنت سمن وعسل .

و مع توالي الأيام والأعوام ، أصبح الجميع يقولون كلما سئلوا عن رأيهم في القاضي ، هو سمن وعسل سيرا على نهج القائد الحاكم .

أ. عبد الحميد حادوش _ سرد وحفريات / Récits et excavations21

استيقظت من نومي وأنا أردّد : سمن وعسل ، سمن وعسل ...

فكرت في الأمر مليا وتذكرت كتاب تفسير الأحلام لابن سيرين في طبعته البيروتية ، تصفحته فوجدت ما يلي :

العسل : << أن ترى العسل في الحلم فإشارة إلى ثراء كبير . أما إذا رأيت نفسك تأكل العسل فإشارة إلى سعادة في الحبّ . وهذا الحلم إذا رآه المحبّون جاءت نتيجته زواجا في وقت قريب . >>

زبدة - سمنة << أن تحلم بأنك تأكل زبدة طازجة أو سمنا جديدا فيرمز إلى أن خططك ستنجح وستكافأ بوفرة . أما أن تأكل زبدة فاسدة فترمز إلى نضالات كثيرة تتعلق بالعمل اليدوي ..>>

جرة: أن تحلم بالجرة فإشارة إلى انك ستحول عملا مكافحا على نجاح كبير ، وتفاجئ به الآخرين . أما إذا كانت مكسورة فمعنى ذلك أن العمل سيتعثر ببعض المشاكل .

محلفون ، والقاضي محلف: قد تسأل أشخاصا عديدين عن آرائهم في خطة مقترحة لتنتهي بعدها مذهولا أكثر . اتخذ حكمتك في الأمر بنفسك ، وتذكر أن آخرين يترصدون لك ، ويراقبونك ، وقد يتبعونك في العمل ، فعليك مسؤولية .

الماء: إذا رأيت مياها صافية في الحلم ، فإشارة حسنة دائما . وأن تشرب ماء صافية في الحلم تعني الصحة والعافية .

أطفال: رؤية الطفل في المنام إشارة حسنة تنبئ بالسعادة والفرح ، والحظ السعيد والنجاح . ولرجل في العمل ينبئ له هذا الحلم بتغيير حالة العمل التي ستصبح ناجحة .

حارس: عليك أن تتيقظ حين تلعب أو تراهن أو تقوم بصفقة ، فقد يكون بين من تتعامل معهم من يحاول أن يخدعك . تأكد من حافظتك . وقد تتهم بسبب تسرعك شخصا بريئا . انتبه لحافظتك في الأماكن العامة فقد تنشل منك .

تأملت في مجمل التفسيرات وتبسّمت ، وقلت في نفسي :

- استيقظت من حلم إلى حلم آخر.

# ذكـرى في رسالة

اشترى في وقت فراغه ذكـرى عنـدما انزوى في ركـن مـقهى شـعبية تقـع في زقـاق ضـيّق بمدينـة بركان . تهاوى على الكرسي بتثاقل أمام طاولة بها مرض "بوهزّاز " . أرسل تنهّدا عميقا وأسند ظهره إلى الحائط المكسُوّ بالطلاء الأسود ، وتوغّل ...

توغّل الرجل في انفعالات طارئة بهذا المنظر ، فراح يحملق في أوجه الحاضرين علّه يتعرّف على أحدهم . رأى الدنيا بعينه اليمنى المصابة بالرّمد ، ولخّصها في ضحكة موفورة فخرا بالفوز . استقام الرجل في جلسته فرأى بعينه السليمة غضب أحد اللاعبين على تصرّف أصدقائه السّيّء. تصاعد غضبه حتّى ثار في وجوههم وخاصة في وجه من يجرّونه برقبته ، آخذينه إلى إنفاق ما لديه في الجيب ، صارخاً :

ـ " مشي هكذا . لا لا ، هذا غش " .

سمعه الرجل الغريب عن المكان ، وعلم أنه لا يقبل الغش . أغمض عينيه مطأطأ الرأس في زاويته فترة . دخل دنيا تأملية أخرى . أحسّ بها تجذبه بكل قوّة . رضخ لها بعد أن اخترقت غشاء أذنيه وسكّت على جسمه النحيف اعوجاجا مثيرا . فتح عينيه فرأى الخفّة والتصنّع ظاهرين على النّادل . تنبّه إلى نقيض حياته . أدخل يده في جيبه فأخرج سيجارة وعود ثقاب . دخّن في تستّر وحذر كأنّه طفل مبتدئ يخاف عقاب مراقبيه . نفخ الدخان في الفضاء وتتبّعه بعينيه والقلق باد على محيّاه . تخلّص من قلقه بالغوص في ماضيه ويده تحرك كأس القهوة بنعومة . تذكّر حبّه وسعادته ، ضيقه وانفراجه . استحضر الوجه الصبوح لفتاة أحبّ فيها وقوفها إلى جنبه أيام المحن . سمع صوتها في كل ركن من أركان المقهى . أصيب بالذهول لمّا سمع نفس العبارة ، وبنفس النّبرة . كانت تكررها عند كل صباح يهمّ بالخروج إلى مهامّه . تصوّرها بنفس الحركات النّاعمة حينما كانت تجلس أرضا لمسح حذائه الثقيل . نفذ إلى أعماقه بلهفة فسمعها تقول :

ـ " فيوك أتجي ؟ راني نستنّاك ، إوا عنداك " .

أحسّ الرجل بحرّ السيجارة تلهب أصبعيه فعاد من رحلته في الحين . ألقى نظرة خاطفة في أرجاء المقهى متمتما في امتعاض :

- " الله إجازي... ".

أخذ آخر رشفة القهوة ، وأشار إلى النادل بيده بعد أن نثر على الطاولة قطعا من النقود ، وفصول الذكرى تتلاشى من ذهنه رويدا رويدا . وفي خفّة ، خرج دون أن يلتفت البتّة كأنه تذكّر عملا هامّا دون إنجاز .

# السكن في مملكة السلطان

،في زمن من الأزمنة الغابرة، سكن شخص في مقبرة السلطان ليلبي حاجته. علم الحاكم بذلك، فأمر أعوانه بإحضاره، ولما وقف بين يديه

:سأله

لماذا سكنت في مملكة السلطان دون إذن ؟ -

اسمح لي أيها السلطان، إني أسكن مملكة الله، وليس مملكة السلطان -

فهل بهذا الجواب فك الشخص كربته؟

# المفتش والمحفظة

ذات صباح ، دخل مدير المدرسة على حين غرة إلى حجرة الدرس. ألقى تحيته. رد التلاميذ بالوقوف والجلوس على عادتهم. تقدم ، فقال :

- أقدم لك السيد المفتش ... وأتركك في عون الله

بعد أن طلب الزائر الوثائق الأساسية، اختار أن يتابع درسا في مادة القرآن الكريم

شرع المدرس في عمله. كان من حين لآخر يطرح أسئلة على تلاميذه ليستقرأ مدى استيعابهم الشروح المقدمة ، ومستوى حفظهم لبعض الآيات. كان يعرج كل مرة على تلميذة القسم المجتهدة، فيفاجأ بذهولها وصمتها عند كل سؤال. انتهى الدرس. استمع الأستاذ لتوجيهات المفتش. دق الجرس، فودعه.

قرر المدرس أن يتعرف على سبب وجوم، وذهول، وصمت التلميذة، فسألها :

- لماذا كنت ساكتة عند كل سؤال أطرحه عليك ؟ ما بك ؟

أجابت التلميذة بارتباك :

- يا أستاذ ، سمعت عند دخول المدير يقول، اقدم لك المفتش، فخفت أن يفتش محفظتي لأن بها الخبز والسمك.

" لا واو، ولا حمار"

في زمن مضى، عاد طالب العلم إلى منزل أسرته، بعد أن قضى سنتين بأحد الجوامع، بعيدا عن الديار. كان الأب مزهوا مفتخرا به في كل محفل. وصادف يوما أن طلب منه المساعدة في البحث عن حمارهم التائه، فلم يمانع. بحثا في عدة أمكنة ولساعات دون جدوى، أشار الابن على أبيه بالعودة مستشهدا بآية قرآنية ، قائلا :

- لنرجع يا أبي ، (( هذا ما وعد الرحمان ، وصدق المرسلين ))

علق الأب بغيْض :

- "يا أ الله ، " لا واو ، ولا حمار " -

# المكي السي

المكي فقيه من حفظة القرآن، ينال الاحترام الكافي من سكان القرية ، غير أن عمر كان كلما التقى به ، أو رآه ولو عن بعيد، ناداه وينا ديه آآآآآآ المكي.

ضاقت نفسية الفقيه، ولم يستطع تحمل أسلوب تعامله. قرر أن يرفع شكواه للقائد . وبعد استدعائه ، طلب منه أن يتأدب مع حفظة القرآن ، ولا ينادي على المكي إلا بالسي المكي . قبل عمر معتذرا. ومنذ لك الوقت، أصبح ينادي على الفقيه بالمكي السي

ولما ضاق منه ذرعا، قدم شكاية أخرى للقائد . استُقدم، سأله عن تصرفه ، فأجابه:

- السي القائد " من حقك أن تفرض علي قول السي ، ومن حقي أن أقدم أو أخر "

## مُسْتملحة السن

سأل بعض الناس ممن هم في دائرة شخص آخرعن سنه فقال:

- أربعون سنة

وبعد مضي الشهور والسنين ، سألوه عن سنه ، فقال:

- أربعون سنة

ظهر على وجوه الحاضرين علامات عجب وتعجب واستفهام ، فقال أحدهم:

كيف ذ لك ، وقد سألناك مند سنين ، فكان نفس الجواب ؟

أجاب بابتسامة:

- ((أبْنادم هو ألي يبقى في كلمْتو))